الاونسكو

د. بطرس ديب
مدير عام وسفير ورئيس الجامعة اللبنانية سابقاً

مقدمة: لمحة تاريخية

في غمرة الحرب العالمية الثانية، والبشرية منهمكة بتضميد جراحها، مضطربة على مستقبلها، متسائلة كيف السبيل الى استقرار هانئ بعد الكارثة الرهيبة التي عصفت بها، كان طبيعيا ان يتوجه اهتمام الدول الى تأمين سلم دائم يضمن حدا من الطمأنينة يتمتع فيه الانسان بحياة فضلى وينعم بما ينشده من استقرار.

تنادت الدول الى التشاور في أنجع الوسائل الى ذلك والحرب لم تضع اوزارها بعد. وأدلى كبار المسؤولين على الصعيد الدولي بتصريحات مختلفة عبروا فيها عن نظرتهم الى المستقبل، وعقدوا اللقاءات والمؤتمرات، وتبادلوا الوثائق، فجاء ذلك مناسبات بلورت الافكار الشاغلة ومهدت لتدوينها نصوصا قانونية ومبادئ انسانية اساسية، وهي بادرة تم تحقيقها بعد الحرب.

تلك البادرة لم تكن الاولى من نوعها في التاريخ الدولي فقد شهد العالم قبلها محاولات استهدفت نفس العناية، نورد منها، على سبيل الذكر لا الحصر، مفاوضات ومعاهدات وستفاليا عام (١٦٤٨)، مؤتمر ومعاهدة فيينا (١٨١٥)، مؤتمر ومعاهدة فرساي (١٩١٩)، الخ... ومنها ايضا إنشاء هيئة التحكيم الدائمة في لاهاي (١٨٩٩)، ومحكمتي العدل الدوليتين في أعقاب الحربين العالميتين، في إطار عصبة الامم ثم في إطار هيئة الامم المتحدة.

بيد ان الدرجة التي بلغتها أهوال الحرب العالمية الثانية حملت المسؤولين على السعي الى طرق جديدة لمعالجة الموضوع. فكانت الفكرة القائلة بأنه لا يكفي ان ينتظر المجتمع الدولي وقوع المشكلة حتى يبدأ بمعالجتها ولو سلميا. فمن الافضل ان يعمل على خلق جو يحول دون قيام المشاكل، تسوده روح السلام والاحترام المتبادل بين البشر فتطرد منه أشباح الحرب. وهي وليدة كل تلك الاعتبارات والنزعات والنظريات.

سنستعرض تباعا في ما يلي أهداف الاونسكو، تنظيمها، حقول نشاطها، طرق عملها، الاونسكو والعالم العربي.

القسم الاول: أهداف الاونسكو

هذه الكلمة هي اللفظ العربي للكلمة الاجنبية UNESCO وهي تعني «منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة»،

United Nations Educational Scientific Cultural Organisation.

هدف المنظمة استئصال أسباب الحرب، او خنق فكرة الحرب في المهد. وهذا المهد هو فكر الانسان بالذات. لذلك ينبغي الاهتمام بجذور تفكير البشر وإرساء قواعد السلام فيها.

وحسبنا نظرة سريعة الى الكتب الدراسية التي كانت معتمدة في مختلف الدول حتى يتبين لنا بوضوح كاف ما حوته هذه الكتب من بذور التباعد بين الدول والبشر الى درجة بلغت احيانا حدود المناداة بالعداء بصورة او بأخرى. فكتب التاريخ مثلا كانت تخص الناحيتين السياسية والعسكرية بمركز الصدارة، حتى كأن الحروب هي مادة التاريخ الاساسية وما تبقى فروع.

وهذه النظرة كانت تتلاقى وفكرة تأليه الوطن والدولة. وقد ساعد على انتشار هذه الفكرة ما شوهد من موجات الالحاد. وعندما تكون الدولة غاية بذاتها، يصبح من الطبيعي ان ينادى باسمها بتحطيم كل ما يقف في سبيل سلطانها، وبشحذ كل أداة تخدم عظمتها.

من هنا كان تضخيم التراث الوطني وإبراز محاسنه على حساب الغير، مع التأكيد غالبا على مساوئ هذا الغير. ومن هنا تصوير الحروب التي تشنها الدولة كمحاولة لإحقاق الحق، كأن من حقها ان تتوسع على حساب الغير، وتنعم بخيراته وأرزاقه، وتستهتر بحرياته وحقوقه بصورة عامة الخ... ومتى انطبعت هذه الصورة في أذهان النشء، لا بد من ان تلازمها صورة ثانية وهي ان الدول الاخرى تحارب الحق، إذن تحاول فرض الباطل. وهنا يبدو الآخرون وكأنهم مصدر خطر دائم، وأقل ما يفرضه هذا التصور هو الحذر المستمر والاستعداد الدائم لدفع الأذى.

ومتى عاش الطلاب هذا الجو، كيف لا تنمو فيهم عواطف الحقد والكره تجاه سكان هذه او تلك من الدول. وهكذا تتكون الاجواء «المشحونة» بشتى الاخطار والتي كثيرا ما تنفجر حربا مدمرة.

هذا مثل من أمثال تتضح معها أهمية التربية وما تنطوي عليه من نتائج مهددة للسلام، وكيف يمكن تحويلها الى خدمة السلام وكبح شبح الحرب. فليس مستغربا ان تأتي التربية في طليعة الحقول التي تعتمدها الاونسكو

للتبشير بمبادئها.

وليس الخطر في التهجم على الغير وتوجيه الاتهامات المغرضة اليه وحسب. فقد يكون الخطر ايضا في السكوت. ومن ذلك تجاهل الغير بمناقبه، وبما أداه للحضارة من خدمات، كبيرة أم صغيرة. وهذا التجاهل، بالاضافة الى ما يشكله من مساس بالحقيقة عن طريق بترها، يسهم ايضا في شحن الاجواء بمختلف السموم. فالانسان عدو ما جهل. والجهل للغير كثيرا ما يتحول الى حذر بالنسبة اليه. والحذر المتزايد يولد الخصومات. ولا ننسى ان من أسباب الحرب العالمية الثانية - وغيرها من حروب - استغلال جهل فئات من الناس للتبشير بالنظريات النصرية البغيضة.

وهنا تبرز اهمية الثقافة في حياة البشر. فاذا قلنا بتعرّف الغير فهذا يعني التعرف العميق الشامل. وهو يفترض الاطلاع الكافي على تراثه الحضاري بمختلف وجوهه، ويستتبع التبادل الثقافي السليم بين البشر وبالتالي وضع حد نهائي لأنواع الانحرافات المتبعة سابقا والتي صوروها في غالب الاحيان كواجب وطني. وعندما يمارس التبادل الفكري بشكل علمي سليم بين البشر، يستحيل تعاونا إيجابيا خلاقا.

من هنا كان التأكيد على دور العلم والثقافة وعلى وجوب اضطلاع الاونسكو بهما الى جانب التربية.

حق التربية

التربية الصحيحة تنطلق من تراث النشء الاجتماعي. والتنكر للتراث تنكر لأصول التربية. لذلك كان ضروريا ان يكون التراث حيا في كل بلد يربي أبناءه. وليس أولى من أبناء التراث أنفسهم بأن يبرزوه ويشرحوه شرحا صحيحا تستفيد منه الاجيال الصاعدة.

ولما كانت ثمة ظروف (من تاريخية وغيرها) قد حالت دون ان تسير بعض الشعوب في ركب التطور بنفس السرعة التي أتيح لغيرها من الشعوب ان تسير بها، فقد ساد شعور بضرورة التعاون على بعث كل تراث وشرح كنوزه وإبراز ما فيه من ثروة حضارية يستفيد منها ابناؤه والغير في آن معا.

تلك الاعتبارات مجتمعة خلقت جوا من الشعور بأهمية التربية والثقافة وبالتالي بوجوب العمل على نشرهما وتعزيزهما. من ذلك كله كانت المناداة بحق الناشئة بالتربية.

والحق بالتربية (تخفيفا: حق التربية) هو أصلا من حقوق الانسان الأساسية. غير ان الانسانية، كما هو معلوم، لم تعِ حقوقها الا تدريجيا، ولا سيما ما كان مقترنا بدرجة متقدمة في سلم التطور كالتربية بالنسبة الى غيرها من حقوق الانسان.

فإعلان حق الانسان بالحياة مثلا هو أكبر أهمية من إعلان حقه بالمساواة وبالتربية. لذلك كان طبيعيا ان يبدأ المجتمع البشري بمعاقبة القاتل، أي بإعلان حق الانسان بالحياة حقا طبيعيا لا يجوز لأحد ان يسلبه إياه. ويوم

سجل المجتمع خطوة جديدة في طريق التطور وانتظم انتظاما أدق، قامت فيه «الدولة-الدركي» اي الدولة التي تضبط الامن وتفرض احترام الحقوق بشكل عام. وكانت كل خطوة من تلك الخطوات تشكل كسبا هاما في تاريخ البشر.

ولما اندلعت الثورة الفرنسية، جاءت مكاسبها (الحرية، المساواة، سيادة الأمة....) فتحا خارقا بأهميته. واعتمدت هذه المكاسب أساسا في حياة الدول وفي العلاقات الدولية، فشكلت حدثا في تطور القانون العام من دولي وداخلي، وانطلقت معها بشكل متزايد التركيز فكرة حقوق الانسان.

ولئن اصطدم تطبيق مبادئ الثورة. وما يزال. بعقبات عديدة متواصلة، وغدا موضع جدل وعرضة لأنواع العبث، فتلك المبادئ لم تفقد شيئا من هيبتها وما تزال أساسا في حياة الامم القانونية، ومنطلقا للمطالبة بحقوق جديدة.

لكن هنالك سنة في التاريخ تقول بتصعيد المطالبة بالمكاسب. فعندما تتعود فئة من الناس ممارسة مجموعة من الحقوق، لا تلبث ان تتطلع الى آفاق جديدة ومكاسب جديدة. فهي من جهة ترى في ما تمارسه من حقوق امرا طبيعيا لا مكسبا، ومن جهة ثانية تزداد وعيا لمدى حقوقها بفضل ما تمارسه منها بالذات. فبعد ان تخطت البشرية مرحلة شريعة الغاب، فمرحلة الدولة-الدركي، وبعد ان أدركت، اثر الثورة الفرنسية، ما ادركته من حقوق أساسية، دخلت مرحلة اصبحت الدولة فيها مطالبة بأن تقوم بوظائف جديدة تهيء للمواطن جوا تتفتح فيه شخصيته وتتحقق انسانيته تحقيقا أوفى. وهذه الوظائف تتزايد اهميتها كل يوم في ميادين الانماء الاقتصادي والتجهيزات الاساسية، والخدمات الاجتماعية، الخ...

وفي طليعة الخدمات الاجتماعية جاءت التربية وقد كان للاونسكو دور كبير في إعلانها حقا من حقوق الانسان. واهتمام الاونسكو هذا يتلاقى وروح رسالتها القائلة بمحاربة فكرة الحرب في أذهان الناس عن طريق تعريفهم ببعضهم معرفة صحيحة. والعلم طريق الى المعرفة. والتربية طريق الى العلم... وكذا القول بالثقافة وهي متممة للعلم وللتربية كأداة.

ولم تكتف الاونسكو بالاسهام في إعلان حق التربية. بل أسهمت في وضع إعلانها موضع التنفيذ وذلك بالتخطيط لأفضل الطرق والمناهج التربوية وبالسعي الى وضع أحدث الوسائل في متناول الجميع. وقد دعت الى العديد من المؤتمرات وألفت لجانا من الاختصاصيين وشجعت نشر الابحاث في مقالات او كتب... وقد ألفت منذ قريب لجنة من كبار رجال الاختصاص برئاسة السيد ادغار فور وطلبت اليها معالجة المسألة التربوية معالجة شاملة عميقة. وقد صدر عن اللجنة كتاب وهو يعتبر أساسا في الشؤون التربوية.

وسنعرض فيما بعد بتفصيل أوفى لنشاطات الاونسكو المتعددة في مختلف ميادين الفكر والحضارة والغاية

منها، انطلاقا من الميادين الثلاثة: التربية والعلوم والثقافة.

القسم الثاني: تنظيم الاونسكو

ولكي نأخذ فكرة أكثر شمولا ووضوحا عن هذه المنظمة الدولية، سنلقي، في ما يلي نظرة سريعة على الهيكل التكويني-التنظيمي للاونسكو.

١ـ الدول الاعضاء والمنظمات المختلفة

تتألف الاونسكو من دول أعضاء وتقيم علاقات مع منظمات مختلفة.

كل دولة عضو في منظمة الامم المتحدة لها الحق بأن تكون حكما عضوا في الاونسكو.

اما الدول من غير اعضاء منظمة الامم المتحدة فيجوز قبولها اعضاء في الاونسكو بناء على توصية من المجلس التنفيذي للاونسكو وتصويت المؤتمر العام بأكثرية الثلثين.

اذا كانت إحدى الدول عضوا في منظمة الامم المتحدة وعلقت عضويتها، يجوز تعليق عضويتها في الاونسكو بناء على طلب منظمة الامم المتحدة. لكن اذا طردت الدولة من منظمة الامم المتحدة فتطرد حكما من الاونسكو.

اما البلدان غير المكتملة السيادة، فيمكن قبولها في الاونسكو بناء على طلب الدولة التي ترعى علاقاتها الخارجية وتصويت المؤتمر العام للاونسكو بأكثرية الثلثين.

وتتبادل الاونسكو المساعدات المختلفة والخبرة مع مؤسسات تدعى رسميا (بتعبير الاونسكو) «بالمنظمات غير الحكومية».

هذه المنظمات مصنفة فئات. ويختلف مدى التعاون بينها وبين الاونسكو بحسب الفئة التي تنتمي اليها المنظمة. وقد أدت هذه المنظمات خدمات جلى عن طريق تعاونها مع الاونسكو في ميادين التربية والعلم والثقافة.

٢ـ المؤتمر العام

يتألف المؤتمر العام للأونسكو من وفود الدول الاعضاء. ويضم كل وفد خمسة أعضاء على الأكثر، وعند التصويت يملك صوتا واحدا أيا كان عدده.

تتخذ القرارات بالاكثرية المطلقة لمجموع الوفود الحاضرة فعليا والمشتركة في التصويت، ما خلا الحالات التي ينص فيها النظام عن أكثرية الثلثين. والتصويت على المواضيع المعروضة يكون بالايجاب او بالرفض او بالامتناع. ويحق لأي وفد ألا يشترك البتة بالتصويت وان حاضر الجلسة.

ويحق للمؤتمر العام ان يدعو للاشتراك في جلساته، بصفة مراقبين، ممثلين عن المنظمات الدولية، وذلك بناء

على توصية من المجلس التنفيذي يتبناها المؤتمر العام بأكثرية الثلثين.

يحدد المؤتمر العام الخطوط العامة والمبادئ التوجيهية للاونسكو ويقر برامج عملها وموازنتها. ويقوم بوظيفة مستشار ثقافي لدى منظمة الامم المتحدة.

يحق للمؤتمر العام ان يوجه الى الحكومات او الى المنظمات غير الحكومية دعوات لعقد مؤتمرات على صعد مختلفة (اقليمية، دولية ...) تعالج فيها قضايا تتعلق بالتربية والعلم والثقافة.

يجتمع المؤتمر العام مرة كل سنتين ويجوز عقد دورات استثنائية، بناء على دعوة من المجلس التنفيذي او رغبة ثلث الدول الاعضاء.

مكان انعقاد المؤتمر مدينة باريس، الا اذا قرر خلاف ذلك.

٣ـ المجلس التنفيذي

يتألف المجلس التنفيذي من أربعين عضوا ينتخبهم المؤتمر العام لمدة أربع سنوات غير قابلة التجديد. وقد مر تاريخ المجلس، ان لجهة عدد اعضائه، أم لجهة مدة ولايتهم، بمراحل، عدة لا مجال لذكرها الآن.

تراعى مبدئيا، في انتقاء الاعضاء، نواحي الخبرة الثقافية والعلمية والتوزيع الجغرافي. وقد تغلبت في الواقع الناحية السياسية ان لجهة ضغط اعتبارات التوزيع الجغرافي أم لجهة موافقة الدولة على ترشيح من يمثلها. والدول الكبرى صاحبة المراكز الدائمة في مجلس الامن هي في الوقت ذاته أعضاء بصفة دائمة في المجلس التنفيذي للاونسكو.

يتولى المجلس التنفيذي إعداد جدول أعمال المؤتمر العام ومناقشة مشروع الموازنة تمهيدا لعرضه على المؤتمر ويشرف المجلس على تنفيذ مقررات المؤتمر العام ويتخذ التدابير والترتيبات التي يقتضيها تنفيذ هذه المقررات.

ينعقد المجلس مرتين في السنة على الأقل. مكان الانعقاد هو مقر الاونسكو في باريس. وللمجلس ان يقرر خلاف ذلك.

٤ـ السكرتارية

وتمثل مجموعة الموظفين العاملين في ملاكات الاونسكو، او المتعاقدين معها، وعلى رأسهم المدير العام للمنظمة.

ويعمل الموظفون اما في باريس في مقر المنظمة وفي المؤسسات التابعة لها، واما خارج باريس بحسب مقتضيات المهمات التي توكل اليهم سواء في فرنسا ام في غيرها من الدول وكذا القول بالمتعاقدين مع الاونسكو.

في رأس الهرم المدير العام للاونسكو. وهو منتخب لست سنوات قابلة التجديد، ولا يخضع لقاعدة الحد

الاعلى من العمر الذي يحال بعده سائر موظفي المنظمة على التقاعد (ستون عاما). يجري انتخاب المدير العام في المؤتمر العام بناء على اقتراح المجلس التنفيذي.

يعاون المدير العام في مهمته وينوب عنه في حال غيابه مدير عام مساعد. ويأتي بعدهما في سلم الرتب نواب المدير العام وكل منهم يرأس فرعا من فروع نشاطات الاونسكو: التربية، العلوم، الثقافة، الاعلام (بمعناه الواسع الذي يشمل التوثيق)، المناهج، والادارة.

ويتوزع سائر الموظفين بين هذه الفروع. ويجدر بنا ان نلفت النظر الى ما تتمتع به بعض القطاعات من شخصية مميزة ودور بارز خاص كفرع العلاقات مع الدول الاعضاء، والفرع القانوني، وفرع الموظفين، الخ...

٥ـ تمويل الاونسكو

للاونسكو موازنة مستقلة تديرها بذاتها. أرقام الموازنة في المؤتمر العام لمدة سنتين وتغذى بمساهمات الدول الاعضاء.

ويجوز للمدير العام قبول الهبات شرط موافقة المجلس التنفيذي.

والاونسكو على اتصال وثيق بالمنظمات الدولية. ولهذه المنظمات ان تسهم بتغذية بنود الموازنة، بالاضافة الى ما تتحمله من نفقات بمناسبة تعاونها مع الاونسكو على تنفيذ مشاريع ذات طابع مشترك.

وكذلك الدول الاعضاء تتحمل قسطا من أكلاف المشاريع التي تقوم الاونسكو بتنفيذها في هذه الدول في إطار الحصة الوطنية العائدة الى هذه الدول.

مالية الاونسكو مبنية على أساس الدولار. ومن الطبيعي ان تتأثر بما يطرأ على هذه العملة من تقلبات. وهذا ما حصل مؤخرا على أثر هبوط الدولار في الاسواق العالمية، اذ اضطرت الاونسكو ان تعقد مؤتمرا عاما استثنائيا (تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٣) لتقرير زيادة مساهمات الدول والا اضطرت الاونسكو الى التخلي عن بعض مشاريعها. وقد أقرت الدول الاعضاء مبدأ الزيادة.

تنشأ في كل بلد لجنة وطنية مهمتها التعريف بالاونسكو، ونشر مبادئها والعمل على توثيق عرى التعاون معها. وقد تكون اللجان هيئة ارتباط بين الحكومات والاونسكو. ومن هذه اللجان ما قام بدور عملي هام ولا سيما لجهة السهر على تنفيذ مقررات الاونسكو والاتفاقات القائمة بينها وبين الدول.

القسم الثالث: الحقول التي تشملها نشاطات الاونسكو

لقد نص دستور الاونسكو على مبادئ أساسية هي بمثابة توجيهات عامة مفصلة نسبيا ومشتقة من الاهداف التي تتوخاها الاونسكو. وفي ما يلي أهم هذه المبادئ الموجهة:

١. تعريف الشعوب ببعضها، وبما يحتوي تراث كل منها من الثروة الحضارية. وغني عن القول ان مثل هذا

التعريف مفروض فيه ان يحصل بصورة ايجابية حتى يفي بالغاية التي وجد من أجلها.

وبما ان التراث الوطني الذي تتميز به شعوب عديدة لا يزال بحاجة الى الابراز والترميم (وقد فقد الكثير من معالمه) فالاونسكو تشجع في الوقت نفسه كل سعي يستهدف ذلك الابراز وتقدم المساعدات المادية والمعنوية اللازمة لبلوغ هذه الغاية.

٢ـ تشجيع التبادل الثقافي بين الشعوب والاتفاقات الدولية التي تستهدف ذلك، وتسهيل هذا التبادل وجعله اكثر فعالية باستخدام الوسائل الحديثة. ومن هذا الباب الاستعانة بالوسائل السمعية ـ البصرية والتعاون على حسن استعمالها.

هذا ومن أهداف الاونسكو الرئيسية تطور الثقافة وتحسين وسائل نشرها، وتسهيل التعاون الدولي في حقل تبادل المؤلفات والمنشورات الجديدة.

٣ـ تعميم التعليم ونشر الثقافة. تقدم الاونسكو ما في متناولها من مساعدات في الحقل التربوي بناء على طلب الدول ذات المصلحة. وتضع الاونسكو او تسهم في وضع الطرق التربوية الكفيلة بتهيئة النشىء الجديد لتحمل مسؤوليات الرجل الحر.

ومن أهداف المنظمة مساعدة الدول على تأمين الفرص بين جميع المواطنين. وسواء على الصعيد الوطني أم الاقليمي والدولي تسعى الاونسكو جاهدة لإزالة كل فرق او تمييز يقوم على أساس العرق او الجنس او المعتقد او على الفروق الاقتصادية والاجتماعية.

٤ـ حماية الثروة الاثرية والفكرية (الآثار، الكتب الثمينة، وكل ما هو ذو قيمة تاريخية او علمية بصورة عامة).

ومن الامثلة على ذلك مساعي الاونسكو للحفاظ على مدينة البندقية. وقد وجه مديرها العام، لهذه الغاية ومن أجل ترميم ما اعتراه منها التلف كليا او جزئيا، وجه نداء عالميا يتعلق بوضع الثروة الاثرية في مدينتي البندقية وفلورنسة في إيطاليا.

ومن هذا القبيل ايضا اهتمام المنظمة بالمناطق الغنية بالآثار والتي امتدت اليها الحرب في الفييتنام وغيرها من دول الشرق الاقصى، الخ.. وسنخص بالبحث ما أفادت منه الدول العربية في هذا المجال.

٥ـ المبادئ القانونية والقانون الدولي.

من أركان السلام العالمي القانون الدولي. ومن شروط استتباب السلام ان يسود القانون ويصبح أساسا لحل كل نزاع او خلاف.

انطلاقا من تلك الاعتبارات، يغدو طبيعيا ان تهتم الاونسكو بالناحية القانونية في العلاقات بين الدول ولا سيما وهذه المنظمة كثيرا ما تجد ذاتها مضطرة للرجوع الى المبادئ القانونية وللدخول في تفاصيل قواعد القانون

الدولي. يضاف الى ذلك ان القانون الدولي في تطور مستمر، كما هو معلوم، بحكم التطور السريع الذي تسجله العلاقات بين البشر كل يوم. وحسبنا مثالا على ذلك ما تطرحه من مسائل ريادة الفضاء واستنباط الثروة البحرية الهائلة.

لذلك انشئت دائرة خاصة بالقواعد القانونية الدولية مهمتها تتبع المسائل القانونية وتطور المعطيات المتعلقة بها والاسهام في ايجاد الحلول لها بما تقيمه من اتصالات وثيقة بالمراجع المختصة.

٦ـ الاعلام.

تفهم هذه اللفظة بمدلولها الشامل بحيث تضم الاعلام الآني (بما فيه علم المكتبات).

والاعلام بمفهومه المشار اليه يأتي تتمة طبيعية لمهمة نشر المعرفة وتشجيع التبادل الفكري التي تضطلع بها الاونسكو. وقد يستعمل ايضا للتعريف بالاونسكو وبنشاطاتها حثا على دعمها وتأييد مشاريعها.

وتضع الاونسكو ما لها من اطلاع ومن خبرة في مجالات الاعلام بتصرف الدول سواء لجهة إعداد الاختصاصيين بالاعلام إعدادا علميا أم لجهة التوثيق وهو حقل ضيق المدى في غالبية الدول النامية.

القسم الرابع: طرق عمل الاونسكو

تعمل الاونسكو اما منفردة واما بالاشتراك مع غيرها من المنظمات، الخاصة او العامة، او الوطنية، او الاقليمية، او الدولية، او مع الدول. وفي ما يلي بعض الخطوط للمبادئ التي تعمل الاونسكو على أساسها:

١ـ عندما يكون الاشتراك مع منظمة دولية كالاونروا UNRWA والاونيسيف UNICEF والفاو FAO ومنظمة الصحة OMS... تقدم كل منظمة للمشروع ما يدخل في إطار اختصاصها وإمكاناتها (من مادية وتقنية). وتكون إدارة المشروع عادة بيد المنظمة صاحبة الهدف الرئيسي للمشروع. فلو كان المشروع مثلا التدريب على الملاحة البحرية، ينظر في ما تهدف اليه المنظمات المعنية او الدول التي تقدمت لديها بطلب. فاذا كان العقد الاساسي هو صيد الاسماك كانت إدارة المشروع بيد الفاو FAO (منظمة الزراعة والتغذية)، واذا كان العقد الاساسي هو تعليم فن الملاحة، كانت الادارة بيد الاونسكو.

٢ـ عندما تتعاون الاونسكو مباشرة مع دولة من الدول، يتفق بين الطرفين على طريقة ادارة المشروع. وقد درجت المنظمة على قاعدة التعاون مع الدولة المعنية على إطلاق المشروع وإرشاد خطاه الاولى على ان تتولى الدولة المستفيدة من المشروع إدارته في ما بعد.

وهذه الطريقة تنطلق من مبدأ مساعدة البلدان النامية او المفتقرة الى خبرة في حقل من الحقول على استثمار هذا الحقل. فاذا كان لا بد من اشتراك الاونسكو في توجيه الخطوات الاولى، فانه مفروض بالبلد ان يتابع السير

وحده. وهذا لا يمنع من ان تعود الاونسكو الى تغذية المشروع والاسهام في ادارته. ويتوجب على الدولة إسهام مادي تختلف نسبته بحسب الحالات.

٣ـ المؤتمرات الاقليمية او الدولية. تعتبرها الاونسكو أداة عملية لتشجيع التبادل الفكري البناء. وكثيرا ما صدر عن هذه اللقاءات مقررات وتقارير وكتب قيمة مشهود بها.

وغني عن القول ان لتلك اللقاءات فائدة التعارف والتفاهم والتعاون على حل المسائل المشتركة، وانها بحد ذاتها عامل تقارب. ومتى أعطيت مقرراتها مدى اعلانيا كافيا. وهنا تظهر قيمة الاعلام. تصبح شاهدا على إمكانيات التعاون بين البشر وحافزا على ذلك وعامل ألفة وبالتالي عامل سلام.

٤ـ الترجمات. بالاضافة الى صياغة مقررات المنظمة بلغات العمل الاونسكوية، شجعت الاونسكو على ترجمة التراث الحضاري الذي يتميز به مجتمع من المجتمعات الى لغات متعددة، بغية تعريف الناس ببعضهم وتقريبهم من بعضهم بفضل هذا التعارف.

ومن أبرز الاعمال في هذا المجال ترجمة الروائع لمشاهير رجال الفكر. وقد قامت اللجان الوطنية للاونسكو بدور هام في هذه الترجمات.

٥ـ حماية الثروة الاثرية والتراث الفكري.

لقد أشرنا في ما تقدم الى دور الاونسكو في انقاذ او ترميم الثروة الفنية الكبيرة في مدينتي البندقية وفلورنسة وغيرهما من الاماكن. وقد اعتمدت الاونسكو خطة توجيه النداءات العالمية في الحالات المستعجلة كما حصل في المدينتين الايطاليتين الآنفتي الذكر. وقد لاقت هذه النداءات أصداء مشجعة بصورة عامة الى الآن، بحيث أثار أنواع المساعدات من تقنية وفنية ومالية من مصادر متنوعة حكومية او دولية، خاصة او عامة.

٦ـ مكافحة الأمية.

تقوم الاونسكو بنشاط بارز الاهمية في حقل مكافحة الأمية. وأهم ما في الامر إثنان:

أ) شن حملة عالمية أدت الى حشد جهود ضخمة لمعالجة الموضوع. وقد جاءت عالمية الحملة مناسبة لتضافر الجهود وشحذ الشعور بالمصلحة المشتركة بين مجتمعات مختلفة لمعالجة هذه المعضلة الانسانية.

ب) تتالت المؤتمرات وتبودلت فيها وجهات النظر واطلع كل فريق زملاءه على نتائج التجربة التي قام بها واستنتاجاته السلبية والايجابية حتى تتوضح الاتجاهات في ضوئها. وقد جاء هذا التبادل مشجعا بنتائجه وهذه النتائج هي حتما ايجابية أخيرا بما تخلقه من روح ألفة وبما تصهره من الخبرات.

٧ـ تشجيع التعاون العلمي والتقني.

ظلت الفكرة السائدة في العالم وحتى في أوساط الاونسكو، زمنا طويلا، ان خير وسيلة يمكن هذه المنظمة

اعتمادها لتحقيق التقارب والتآلف بين الشعوب، هي التعريف بالثروة الحضارية التي يملكها كل شعب، ونشر المعرفة.

لا شك أن في ذلك وسيلة ناجعة لتحقيق الاهداف الاونسكوية. لكن هناك وسائل اخرى ومنها التعاون في المجالات العلمية والتقنية. والتعاون في هذه المجالات، وبالاضافة الى ما يفترضه من روح التعاضد وما لها من أهمية بالنسبة الى أهداف الاونسكو، فهو يفترض التقاء الجهود وتضافرها في حقل بعيد عن النزعات العقائدية المتباينة، يقوم العمل فيه على أساس الارقام بعيدا عن الميول العاطفية.

ومن أهم المسائل التي تناولتها نشاطات الاونسكو في هذا المجال: التلويث وتوفير المياه للشرب والري dé-cennie hydraulique وعلم البحار océanographie.

ولو أخذنا النقطة الاخيرة لكفانا، لكي نتبين فضل الاونسكو بأخذ المبادرة، ان ننظر اليها من جهة تأليف الوفود التي كانت تعالج الموضوع: كانت هذه الوفود في غالبيتها مؤلفة من ضباط البحرية. وهذا يعكس المدى الضيق الذي قام فيه الى الآن اهتمام الدول بمسألة متزايدة الاهمية وهي أساس في الحلول المرتقبة للمستقبل لحل أزمة المياه. فكون الوفود عسكرية يعني الخبراء الذين أكبوا الى الآن على علم البحار، ليسوا بالاختصاصيين المتفرغين لهذا العلم، وانما يتعاطون بطريقة عرضية عن طريق ارتباطه باختصاصهم الاصلي. وهكذا تتوضح اهمية البادرة التي قامت بها الاونسكو: فمن جهة أثارت موضوعاله خطورته وفائدته، ومن جهة ثانية نبهت الدول الى ضرورة اعارته عناية أكبر.

القسم الخامس: الاونسكو والعالم العربي

لن ندخل هنا في تفاصيل كل المساعدات التي تلقتها الدول العربية من الاونسكو. فكل من الدول الشقيقة وضعت برامج عمل للتعاون مع هذه المنظمة الدولية وحصلت منها في حقول مختلفة على مساعدات في إطار البرامج الثنائية. سنحصر بحثنا في المواضيع المشتركة بين الدول العربية والتي عولجت في إطار التعاون مع الاونسكو.

١ ـ اعتماد اللغة العربية لغة عمل في الاونسكو

كانت لغات العمل في الاونسكو خمسا: الانكليزية، الفرنسية، الاسبانية، الروسية والصينية. وهذا يعني ان وفود الدول والمنظمات تستطيع التكلم والكتابة بإحدى تلك اللغات فتترجم الى اللغات الاربع الباقية: ترجمة آنية فورية أثناء الكلام وترجمة مؤخرة للنصوص.

طالب العرب أكثر من مرة بأن تصبح الضاد لغة عمل في الاونسكو أسوة باللغات الخمس، فلم تكلل جهودهم

بالنجاح. في عام ١٩٦٦، أعادوا الكرة. ففازوا فوزاً جزئيا وأصبحت العربية لغة عمل في المؤتمر العام للاونسكو وفي بعض حالات معينة.

كانت مطالبات العرب تصطدم بعقبات شتى، أهمها:

أ. إضافة لغة جديدة تتطلب زيادة في النفقات وإمكانات المنظمة المالية محدودة. وهذه الزيادة متعددة الاسباب: نفقات الترجمة، والطباعة، وشراء أجهزة للترجمة الفورية...

ب. طلبات المساعدة تتوالى على الاونسكو ومنها ما أصبح متراكما. وكثير منها ضروري. فعندما تجد المنظمة ذاتها في الخيار بين تلبية حاجات ضرورية والسير في مشروع تلبية لما تحتله اللغة العربية من مكانة فكرية ومعنوية، فالمنظمة ترى من واجبها تلبية الحاجة الملحة وان كانت الاعتبارات المعنوية على جانب كبير من الوزن.

ج. المترجمون غير متوفرين.

د. هناك طلبات مماثلة تتعلق بالالمانية والبرتغالية والايطالية... ومن الافضل عدم فتح الباب... الخ.

الذي حصل عام ١٩٦٦ هو ان العرب وحدوا كلمتهم بصورة رائعة ونظموا اجتماعاتهم وطرق عملهم وتقاسموا الادوار. ثم درسوا الامكانات المتوافرة لديهم للترجمة وبرهنوا أنها كافية. وتبرعوا بالمال اللازم للبدء بعمليات الترجمة بانتظار ان تدخل الاونسكو في موازناتها اللاحقة ما يغطي مصاريف الترجمة. وشرحوا بطريقة عقلانية هادئة اهمية اللغة العربية وما تمثله من تراث حضاري كبير... الى ما هناك من الاعتبارات التي تبدو طبيعية بحد ذاتها لكنها لم تؤخذ بعين الاعتبار مجتمعة من قبل. وهناك تفاصيل لا مجال لكتابتها هنا...

بفضل هذه التعبئة للجهود والوسائل تم التصويت على اعتماد العربية لغة عمل في المؤتمر العام وبعض منشورات الاونسكو، على أمل ان تعتمد ايضاً في مرحلة لاحقة. نرجو ان تكون قريبة. في المجلس التنفيذي واللجان فتصبح على قدم المساواة التامة مع لغات العمل الباقية.

٢ ـ النازحون من إخواننا الفلسطينيين ومدارس الاونروا ـ الاونسكو

على أثر أحداث ١٩٤٨، نزح قسم من إخواننا الفلسطينيين عن ديارهم. تشكلت هيئة الغوث الدولية للاهتمام بأوضاعهم المادية والادارية وتولت الاونسكو الناحية التعليمية في مدارس الاونروا.

وعملا بالمبدأ التربوي القائل باحترام تراث النشء في كل مراحل التعليم، اتبعت الاونسكو الطرق التربوية المتلائمة وأوضاع إخواننا النازحين واعتمدت الكتب الدراسية المعتمدة في مدارس البلدان الشقيقة المضيفة.

لم يبد من اعتراض على ذلك سوى ان اسرائيل كانت، من وقت الى آخر، تسجل تحفظات على ما تحويه بعض الكتب من مواضيع تعتبرها معادية لها.

على أثر حرب ١٩٦٧، جمعت اسرائيل كل الكتب العربية المعتمدة في مدارس الاونروا ـ الاونسكو وأقامت منها

معرضا ودعت اليه ممثلي الصحافة العالمية، وراحت أبواق الدعاية الصهيونية تضخم ما تصفه بالمخالفات لمبادئ الاونسكو مع الغمز من قناة هذه المنظمة لسماحها بأن تدرس في معاهدها كتب تحوي مثل تلك المخالفات...

قصد إسرائيل من حملتها خلق مشكلة جانبية. في جملة المشاكل. لتغطية عدوانها والضغط على الاونسكو لكي تفرض عليها السكوت عما كانت تفعله وتعده من خطط التشويه لمعالم فلسطين القومية والدينية.

كان لا بد للاونسكو من ان تهتم للامر نظرا للضغط المركز الذي حصل وأمام رفض اسرائيل السماح بأن تستعمل الكتب موضوع الانتقاد في المناطق التي استولت عليها. فكانت مناقشات طويلة وحادة في المجلس التنفيذي للاونسكو. وأخيرا بفضل التضامن العربي ومساعدة الدول الصديقة تمكنت الاونسكو من اعتماد خطة معتدلة قبل بها العرب لأنها لا تمس جوهر الموضوع وتحفظ في الوقت نفسه مصالح اخواننا المقيمين في الاراضي المحتلة إذ تضمن لهم حق تعليم أولادهم أمل الغد.

٣ـ مراكز إعداد المعلمين

هذا ويجدر بنا ان نشير الى مركز إعداد المعلمين الذي انشأته الاونروا في بيروت والذي يمول بأسهم من الاونروا والحكومة السويسرية وبرنامج الامم المتحدة للانماء.

٤ـ الاونسكو والاماكن الاثرية في فلسطين

من النقاط الاساسية في سياسة اسرائيل، تشويه المعالم العربية والدينية غير اليهودية في فلسطين المحتلة. وحتى خارج فلسطين مما احتلته من الاراضي العربية. ولا سيما القدس حيث تتابع تنفيذ مخطط تهويد للمدينة. تنبّه العرب للامر وعرضوا المشكلة أمام المحافل الدولية ورجعوا الى اتفاقية لاهاي التي تخول الاونسكو حقا بالتدخل لإنقاذ المعالم الحضارية المهددة.

اهتمت الاونسكو للامر وأدرجت الموضوع في جدول أعمال جلسات عدة عقدها المجلس التنفيذي وعينت مراقبين دوليين للحفاظ على الثروة الاثرية. وازداد اهتمامها على أثر حريق المسجد الاقصى

وامتداد عمليات التشويه الى اماكن مقدسة عديدة، فصدرت عن المجلس التنفيذي سلسلة من المقررات التي تهيب بإسرائيل ان تتوقف عن أعمالها.

أجل ليس للمجلس التنفيذي من وسائل مادية لفرض تنفيذ مقرراته على إسرائيل. فهو لا يملك حق إرسال قوات دولية او فرض عقوبات اقتصادية. لكن لمقرراته قوة معنوية كبيرة. فاذا أضيفت هذه القوة المعنوية الى ما يصدر عن مختلف المنظمات الدولية من إدانات ولوم وتشهير بمواقف إسرائيل غير القانونية، كل ذلك يشكل قوة لها شأنها في المحافل الدولية ولا بد لها أخيرا ان تترك أثرا. وهذا ما حصل بالفعل.

٥ ـ آثار النوبة وقرطاجة وغيرها

لما تقرر بناء السد العالي في أسوان، كان لا بد ان تغمر مياه البحيرة الضخمة التي يحدثها السد أماكن عديدة غنية بالآثار، فتضيع ثروة حضارية إنسانية كبيرة.

لذلك وجهت الاونسكو نداء عالميا لإنقاذ آثار منطقة النوبة فلبى النداء عدد كبير من المؤسسات والدول. فمنها ما قدم المال ومنها ما قدم المساعدات الفنية ومنها ما أخذ على عاتقه مشروعا معينا بكامله (مثلا نقل معبد من مكان الى آخر) وبفضل هذا التعاضد انقذت آثار النوبة وكانت العملية مناسبة لشد أواصر التعاون على صعيد عالمي.

وهذا ما يحدث اليوم بالنسبة الى آثار قرطاجة التي صممت الحكومة التونسية على بعثها. وفي ذلك، بالاضافة الى الناحية الحضارية العامة، ناحية خاصة، تفيد منها البلدان العربية.

٦ ـ مركز إعداد الاختصاصيين لحفظ الثروة الاثرية في بغداد

بدأ المركز أعماله عام ١٩٧٢ بمساعدة برنامج الامم المتحدة للانماء.

٧ ـ مركز محو الامية في سرس الليان (جمهورية مصر العربية)

نشاط هذا المركز اقليمي. وقد اعتمدت فيه أحدث الاساليب ولا سيما من حيث استعمال التعليم الوظيفي أي اعتماد الطرق الاكثر ملاءمة للاعمال التي يتعاطاها أبناء محيط معين (المحيط الزراعي في سرس الليان). يبحث المركز في إيجاد طرق حديثة لمكافحة الامية وإعداد المعلمين والمعدات الدراسية.

٨ـ مركز التخطيط للبلدان العربية

مقره القاهرة. مهمته التخطيط للمشاريع الاقليمية او المحلية التي تمول من الموازنة العادية للاونسكو او من وارداتها الاستثنائية.

٩ـ المكتب الاقليمي للتربية في الدول العربية

مقره مدينة بيروت. وكانت الاونسكو قد انشأت في بيروت مركزاً للادارة والتخطيط التربويين للدول العربية. ثم ارتأت الدول الشقيقة ومنظمة الاونسكو ان يصار الى توسيع نطاق عمل المركز فأصبح مكتبا اقليميا تديره المنظمة مباشرة.

ويمكن اختصار مهمات المكتب كما يلي:

- مواصلة إعداد المخططين في شؤون التربية العربية.
- تقدم الاستشارات للدول الاعضاء في ما يعود الى إعداد الهيئة التعليمية.
- الاسهام في تقويم المشاريع التربوية وفي تنفيذها تقنيا.
- الاسهام في تنظيم الحلقات الاقليمية التي يعقدها الوزراء العرب.
- تتبع التطور التربوي في المنطقة.
- تنظيم توثيق تربوي ووضعه بتصرف خبراء الدول المعنية.

١٠ـ المركز الدولي لعلوم الانسان في جبيل (بيبلوس)

سيتعاطى هذا المركز الشؤون العائدة لعلوم الانسان بمفهومها الشامل (علم الاجتماع، الاتنولوجيا، التاريخ، الجغرافيا، علم الاديان، علم اللغات، الاقتصاد السياسي، القانون الدولي...). وسيركز بنوع خاص على علاقة هذه العلوم بشؤون الانماء.

يتألف المركز من أربعة فروع: التوثيق، البحوث، اللقاءات العلمية، الترجمة، يضاف اليها فرع إداري.

تتعاون الدولة اللبنانية والاونسكو لتسيير العمل في المركز. وتتولى إدارته هيئة مؤلفة من شخصيات لبنانية ودولية. وتكون له موازنة مستقلة، ويتمتع المركز بالشخصية وفقا لأحكام القانون العام اللبناني.

وقد صوت المؤتمر العام للاونسكو المنعقد في خريف ١٩٧٢ على إنشاء هذا المركز وخوّل المجلس التنفيذي في دورة الخريف لعام ١٩٧٣ المدير العام للاونسكو بتوقيع اتفاقية التعاون مع الحكومة اللبنانية. وقد تم هذا التوقيع في الخامس من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ وسيباشر بالاعمال الفعلية فور تصديق الاتفاق من قبل مجلس النواب اللبناني.

خـــاتمـــة

الاونسكو، شأنها في هذا شأن سائر المنظمات الدولية، تستمد فاعليتها من الدول الاعضاء ومن المنظمات المتعاملة معها. وقد أدت خدمات جلّى رغم ما اعترى خطواتها الاولى من تعثر وما لا تزال تصطدم به من صعوبات.

هذه الخدمات اتسمت الى الآن وبالدرجة الاولى بطابع التقنية. وكان ذلك انطلاقا من فكرة خلق مجالات للتعاون تنمو فيها روح الألفة بين البشر وبالتالي روح السلام. ويمكن القول ايضا ان في التنمية الفكرية (سواء اتصلت بالتربية ام بالثقافة ام بالعلوم) ما يسهل تعرف الناس ببعضهم بعضا وما يزيل عقدا قد تكون علقت في بعض النفوس.

يمكننا إذن ان نعرّف عمل الاونسكو في حقل السلم بأنه عمل غير مباشر. ويوم تستطيع هذه المنظمة ان تعمل مباشرة للسلام وتوجه نداءات يكون لها وقع أكيد او تنشر أفكارا تلج الأذهان فتغرس فيها مباشرة حب السلام، فذلك يعني ان فكرة السلام ومبادئه قد شقت طريقها الى قلوب الناس. وذلك اليوم يكون يوما مشهودا في حياة الأمم وتاريخ الحضارة.

بينما كانت المجلة تحتضن الحروف والكلمات في المطبعة، كان الدكتور بطرس ديب، بتواضعه المشهود، يودع الحياة بصمت وهدوء. وفي الحقيقة، تنطفىء برحيله شمعة مضيئة، وينطوي معلم من معالم القرن العشرين العلمية والثقافية المتنوّرة. ان مجلة «الادارة اللبنانية» التي أحزنها هذا الرحيل تتقدّم من عائلته وقادريه بأحر المشاعر، وتتمنى على تلاميذ الراحل الكبير، وهم كثر، ان يتداعوا لتكريمه وابراز عطاءاته، ايماناً بالقيم التي تمسك بها، ووفاء للمناقب التي تحلّى بها وما حاد عنها طوال حياته.